حنين ذاكرة

لم يُعرف عني كتابة المقالات عن الأشخاص ربما لأني لا أجيد هذا النوع من الفن ، ولكن الذكرى عندما تكون جميلة كشجرة ليمون مثمرة ذات ظل ظليل ورائحة تملأ كل أرجاء المكان تحاصرك وترتسم صوراً وخيالات جميلة تحنّ ُ لها وتسترجعها وكأنها جزءاً منك بل هي جزءاً مني. أفي الكتابة هروباً من تلك الذكريات التي تحاصرني وتؤلمني ؟ نعم أريد أن أخوض تجربة الكتابة فلعل في الحرف ما يخفف من ألم الحنين.

لم يكن جاراً لي في حارتنا عشتُ معه حلاوة الصبا ، ولم يكن لي زميل في المدرسة فأتذكر معه جمالية رسم أحلام المستقبل ، ولم التقي معه في الجامعة. فنتبادل الهم والامل , لقد عرفته في رحلة للحج مع قافلة الرسالة والتي يشرف عليها سيد فاضل امتاز بالتواضع والبساطة. كانت هذه المعرفة بركة ، وعندما تحل البركة تكون كسحابة غيث تحيي أرضا ميتة. لقد كان من كوادر الحملة ,كان يعمل بصمت وإخلاص وحب ، لم يكن يحب الظهور أبدا. لقد عرفت فيما بعد إنه كان يعطي القافلة جزءاً كبيراً من وقته ، يسهر مع إخواته ليخفف على الحاج مشقة الحج . نعم لقد كان وراء هذه البساطة والتواضع روحاً عملاقة تربت في مدرسة الإمام علي عليه السلام الذي كان يقول في وصيته لمحمد بن الحنفية : وأحسن إلى جميع الناس كما تحب أن يحسن إليك وارض لهم ما ترضاه لنفسك واستقبح لهم ما تستقبح من غيرك، وحسّن مع الناس خلقك حتى إذا غبت عنهم حنو إليك، وإذا مت بكوا عليك، وقالوا: إنا ﷲ وإنا إليه راجعون.

لقد كان يرى في العطاء حياة لروحه , لقد استرجعت هذه الصورة سريعا أو بشكل أدق شخصت هذا الصورة بوضوح عندما رأيت دموع الحزن تنهمر من عيون السيد عدنان الهادي مرشد الحملة وكأنه يفقد أحد أبنائه فلم يكتفي بالصلاة عليه بل تكفل بالإشراف على دفنه ونزل معه في قبره ولقنه بنفسه الشهادة .

من نعم ﷲ سبحانه ترتيبه الأسباب لأتعرف عليه من قرب ، كنت ذات يوم في المسجد وإذا بالأخ خليفة المرزوق يخبرني بأنّ َ المرحوم صالح قد حصل على ترقية في الرياض وكان يسالني اذا كان بالإمكان أن

يتقاسم معنا السكن ، لم أتردد فجاذبية روحه حفزتني أن لأقبل كي أتعرف عليه عن قرب.

لقد تقاسمنا شقة في البطحاء فتعرفتُ عليه أكثر . كان يحلم ويعمل لتحويل الأحلام إلى حقائق ، كان يحلم بأن يكون مؤمنا قويا ، هذا الحلم يدفعه للعمل دون كلل وكان يخفي همومه بابتسامته ، كلمني عن جمعية البر وكلمني عن حملة الرسالة وقوافل الحج ، كلمني عن عائلته. كان يحلم أن تكون جمعية البر حلقة وصل بين طبقات المجتمع ، هذا الحلم جعله يعمل مع إخوانه من الفقراء والأغنياء ووجهاء المجتمع ، كان يؤمن بأن جودة العمل تضمن استمرايته فكان يحاول أن يترجم أحلامه الى برامج بحيث لا يقتصر هدف الجمعية على توزيع المساعدات المالية وكنت أتذكر ملامح السعاده عندما أسس مع إخوانه برنامج لمساعدة المبتعثين. كان ذلك البرنامج يستهلك جزءاً من وقته ، وكان شجرة الياسمين ، الأريج جزءاً من تركيبتها.

كلمني عن قوافل الحج ومشاكلها والتحديات المستجدة لها ، كان حريصاً مع إخواته أن تؤدي قافلة الرسالة رسالتها ، كان يعمل بصمت وبعشق يخطط مع إخواته في اجتماعات متكررة قبل الرحلة بوقت طويل. كنت أرى التعب وفي نفس الوقت الرضا على وجه لأنه كان يقصد بعمله وجه ا مما يعطيه قوة التحمل . كلمني عن أسرته وعن ابنته عندما سجلت في كلية الطب , كان يومها يعبر عن مشاعر الفخر والخوف ،شعرت بفرحته عندما رزق بمحمود بعد صبر طويل ، شعرت بألمه عندما أصبيت زوجته بمرض السرطان. اتصل بي وسألني عن تجربتنا مع أختي عندما أصبيت بالمرض نفسه. لقد تجلى حبه لزوجته فقد كان متألما لأجلها ، لقد وقف بجانبها يغدق عليها من حنانه حتى انتصرت على المرض.

إني أتكلم عن شخص رحل عن الدنيا من أكثر من عشر سنوات وهو في قمة نشاطه وعطائه ومازالت ذكراه تفرض نفسها على قلبي وروحي فتتشظى تلك الذكرى الى صوراً جميلة فأترحم على روحه.

لقد ارتحل دون سابق إنذار على أثر حادث مروري مروع وهو راجع من الدمام ، لقد ارتحل مع ابنتهِ(غفران) - وسلمتْ ابنته الأخرى - بالقرب من قرية الوزية بالأحساء عام 2011م , قبل رحلة الحج مما جعل الم الفراق شديدا في قلوب كوادر قافلة .

ارتحل أخي صالح الدريسي إلى جوار ربه بعد ما قضى عمره في خدمة مجتمعه ، كان من خير الإخوان فقد تمثلتُ فيه ما قاله الإمام عَلِيّ (عليه السّلام): (خير إخوانك من دعاك إلى صدق المقال بصدق

مقاله وندبك إلى أفضل الأعمال بحُسنِ أعماله)

رحمك ا يا صالح فقد كنت نعم الأخ ، لقد ارتحت من هذا الدنيا الفانية وتركت لنا ذكرى طيبة. اطمئن يا صالح فلن أنساك ولن ينساك إخوانك من الدعاء.